

مقدمة في تاريخ الفانطازيا

مبروك بوطوقة*

تعتبر الفانطازيا نوعا من الاحتفالات الجماعية المحبوبة التي توطر المواسم الدينية والمناسبات الاجتماعية والاحتفالات الرسمية في مناطق شمال إفريقيا وتشكل أحد الظواهر القليلة التي يتشارك فيها الإنسان مع الحيل طقوس الفرح والفرجة والاحتفال (أعضاء الطبيعة حيث الهواء الطلق والمناظر الخلابة في لوحة فنية بدعة تجتذب عشرات المتفرجين الذين يقبلون من كل حذب وصوب للمشاهدة والاستمتاع.

والنظاقا من أنه لا يمكن فهم أي ظاهرة بشرية بصورة واضحة دون العودة إلى عاودها التاريخية، على أساس أن عملية فهم الحاضر تنقّي مرتبطة بمعرفة الماضي، وأدّ تحليل الماضي يقدم لنا مفاتيح فهم الحاضر، حاولنا البحث في الحفريات المعرفية بتعبير لؤلو فصد الكشف عن الأصول المؤسسة للفانطازيا والعوامل المشكلة لها والتطورات التي مرت بها حتى وصلت إلينا بالشكل الذي نعرفه اليوم، ويبقى الهدف الرئيسي لهذا البحث التاريخي هو المساهمة بشكل أفضل في فهم الأسس الحضارية والثقافية للفانطازيا.

تاريخ المصطلح

تمّاز كلمة فانطازيا fantasia أنها تتواجد في أغلب لغات البحر الأبيض المتوسط كالفرنسية والإيطالية والإسبانية إلا أنّها اشتهرت وشاع استعمالها في اللغة الفرنسية بمعنى محدد وهو استعراض الفروسية parade équestre الذي يقوم به

41-معين حليل العمر، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر: دراسة تحليلية ونقدية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1991، ص 164.

و تجدر الإشارة هنا إلى الخطأ الشاسع الذي يربط بين انتقال كلمة الفانتازيا إلى الفرنسية بمعنى استعراض الفروسية وبين اللوحة الشهيرة التي رسمها الفنان الفرنسي الكبير Eugène Delacroix سنة 1832 أثناء استقباله ضمن بعثة دبلوماسية الملك المغرب بالآلعاب فروسية وبارود مدهشة قام بتخليدها في لوحة تعتبر أشهر لوحات على الإطلاق وعرفت هذه اللوحة باسم "فانتازيا".

وقد بين الباحث ريموند أرفيه R. Arveiller في بحث شهير نشره سنة 1985 في المجلة الفرنسية "Revue de la langue romane" حوا مصطلح الفانتازيا أن دولكروا لم يسم أيا من لوحاته باسم "فانتازيا" بل لم يرد ذلك لهذه الكلمة لا في قوائم الجرد الخاصة بأعماله ولا في مراسلاته ولا في أي كتاب من كتبها، خاصة وأن كلمة فانتازيا بمعنى استعراض الفروسية لم تكن موجودة في اللغة الفرنسية في ذلك الوقت.

وهنا يجدر بنا أن نتساءل: من أين جاء اسم اللوحة التي طبقت شهرة الأقال؟

يرى أرفيه أن من أطلق اسم تلك اللوحة الشهيرة هو صديق دو لكروا ورفيقه في رحلاته إلى شمال إفريقيا شارل دو موراي والذي رافق دولكروا في رحلته إلى المغرب سنة 1832 وحضر استعراض الفانتازيا الذي خلده دولكروا في تلك اللوحة وقد آلت إليه ملكية اللوحة المذكورة بطريقة ما وحين عرض تلك اللوحة للبيع سنة 1850 أطلق عليها الاسم الذي اشتهرت به وهو: فانتازيا الفرسان المور المغرب أو سباق الخيل مع محاكاة المعركة.

سكان شمال إفريقيا وهو المعنى الذي أصبح مرتبطا بهذه الكلمة في اللهجات المحلية لسكان المغرب العربي بما فيها الجزائر وإن كان سكان المغرب يميلون إلى استخدام مصطلح "التبوريدة".

يعود أصل كلمة فانتازيا إلى اللفظ الإغريقي qautasia التي تعني فعل حب الظهور¹ Action de se montrer ومنه انتقل إلى اللغات الأوروبية لكن بمعنى أكثر تجريدا وهو محاولة إظهار الشيء باستخدام الخيال فظهر أولا في اللغة الإسبانية بمعنى "اعجرفة"، ومنها انتقل إلى الإيطالية بمعنى "التباهي"، ومنها إلى الفرنسية التي يرجح أن سكان الشمال الإفريقي قد استعاروها منها بمعنى القهر والمباهاة والقوة لوصف أبرز وأهم مظهر لهذه القيم لديهم وهو الفروسية.

ظهرت كلمة fantasia في اللغة الفرنسية بمعنى استعراض الفروسية لأول مرة سنة 1838 في الوصف الذي قدمه لويس أدريان باربروقر Louis Adrian Berbrugger للاحتفالات التي تمت على شرفهم أثناء بعثة دبلوماسية للأمير عبد القادر حيث يقول "في كلمة واحدة لقد نفذوا في هذه المسيرة كل ما يشكل لديهم ما يسمى عندهم الفانتازيا وقد قام الأمير بلفت نظرنا إلى هذا النوع من الاحتفال الذي أقيم على شرفنا"².

وفي سنة 1841 قدم البارون جون جاك بود Jean Jaques Baude وصفا مفصلا لهذه الألعاب والاحتفالات قائلا في الأخير: "هذه التمارين المزاجية هي ما يسمونه هناك فانتازيا".

" Ces exercices capricieux sont ce qu'on appelle "

"la Fantasia

لاريخ الممارسة:

رغم أننا عرفنا على وجه التقريب متى وكيف ظهر مصطلح الفانطازيا إلا أننا لا نعرف على وجه التحديد متى ولا كيف بدأت الممارسة، وإن كانت العديد من المؤشرات تشير إلى أنها نوع من المحاكاة الحربية التي انبثقت من التقنيات العسكرية التي كان يستخدمها الفرسان النوميديون والعرب في حروبهم وغاراتهم والتي تعتمد على الهجوم المباغت المتبوع بالانسحاب السريع وهي التقنية التي يطلق عليها اسم " الكر والغر".

ومن المرجح أن يكون العرب قد مارسوا نوعا من الفانطازيا منذ أن طوروا تقنيات الحرب باستخدام الخيل⁷ وكذلك النوميديون⁸ لأن الفانطازيا في حقيقتها ما هي إلا نوع من التدريب العسكري للفرسان بما يسمح لهم بتطوير مهاراتهم القتالية والرفع من قدراتهم الحربية كما يسمح للقادة باكتشاف أمهر الفرسان وأشد المحاربين وأفضل الحلول وبالتالي التقييم الصحيح لقوة جيوشهم وجاهزيتهم.

ويؤكد ما ذهبنا إليه الإثنولوجي الفرنسي بيار ديقار (Jean-pierre Digard) الذي يرى أن الفروسية في شمال إفريقيا هي فروسية ذات منشأ عربي-تركي-نوميدي وأن الفانطازيا هي النسخة المعدلة المعاصرة لها⁹، ومن هنا نجد أنفسنا مجبرين على دراسة هذه الاتجاهات الفروسية الكبرى وهي النوميديّة والعربية والتركية من أجل فهم تطور الفانطازيا كمحاكاة حربية وتطورها عبر القرون لتصبح ممارسة احتفالية مشهورة.

الفروسية النوميديّة: خفيفة وسريعة

نوميديا كلمة يونانية تعني البدو الرحل أو الرعاة وهو الاسم الذي أطلقته الرومان على المملكة الأمازيغية القديمة التي قامت على أرض الجزائر الحالية واتخذت

"Fantasia des cavaliers maures au Maroc, ou course à cheval simulant la charge"

ونعتقد أن تكون اسم اللوحة من شقين منفصلين بالأداة "أو" "ou" يشير إلى أن اسم اللوحة الأصلي هو الشق الثاني وأن الشق الأول تمت إضافته لشح موضوع اللوحة بطريقة أفضل وباستخدام كلمة فنية شاعرية هي "fantasia" بدل جملة "simulant la charge".

وفي ذلك الوقت سنة 1850 كانت كلمة fantasia قد أضيفت إلى رحمتها

إلى اللغة الفرنسية قبل ذلك بخمس سنوات أي سنة 1845 من خلال الطبعة الأولى

للقاموس الفرنسي الشهير بإشراف Bescherelle بمعنى

"Course que les arabes ont coutume de pratiquer dans leurs files"

أي "السباق الذي اعتاد العرب ممارسته أثناء احتفالاتهم"³.

ثم توالى ظهور كلمة fantasia بعد ذلك في القواميس الأخرى بمعنى استعراض الفروسية، فظهر سنة 1848 في قاموس Lachatre⁴ ثم ظهر سنة 1963 في قاموس Le Littré⁵.

وفي سنة 1872 خصص له معجم لاروس الكبير Le Grand

Larousse ثلاثة أعمدة كاملة أشار فيها إلى لوحة دولاكروا التي تم عرضها على

الجمهور لأول مرة سنة 1843 تحت اسم "fantasia des cavaliers"

ويعتبر هذا هو السبب في الربط بين كلمة fantasia

ولوحة دولاكروا⁶.

ولم يقتصر على الأمر على الجنود فقد كانت الفروسية ثقافة منتشرة في كل مكان بممارستها الصغير والكبير والغني والفقير وهو ما يؤكد ستيفان قرال حين يتحدث عن ركوب الحصان حتى من طرف الأطفال بل يذكر أن ملوك نوميديا العظام مثل ماسينيسا ويوغرطة كانوا فرسانا لامعين¹³.

وقد شكل الفرسان النوميديون العمود الفقري للجيش القرطاجي حسب •

أورده المؤرخ مبارك الملي في معرض حديثه عن جيش قرطاج إذ ذكر أنه لا يعتمد 50 ألفا أكثرها من البربر والإنسان وبعدها زيادة على ذلك أيام الحرب بجند كثير أمراء البربر الذين تربطهم بهم معاهدات.

وينقسم هذا الجيش إلى ثلاثة أقسام:

- 1- الجنود القرطاجية: وهم قليلون غير حربيين
 - 2- الجنود المرتزقة: وهم من أمم مختلفة، من إسبانيا مشاة، ومن الجزائر البربرية رماة، ومن الغاليا والكورس وإيطالية وصقلية
 - 3- الجنود الليبية والنوميديّة: والأولون مشاة مجبرون على التحنيد لأن ليبياتهم كانت في قبضة قرطاجنة وتحتم نفوذها العملي والأخيريون فرسان متطوعون لأن وطنهم نوميديا لم يكن تحت سيطرة قرطاجنة، وكلا الجندين الليبي والنوميديّ اعتمد على الشدائد شجاع مقدام له سلاح خفيف: نبل وخنجر وترس من جلد الأفاعل ما ذاقت قرطاجنة لذّة الفوز والإنصار ولا هدّد حنبل رومة ورام فتحها¹⁴.
- ويبدو أنه مع مرور الوقت ساهمت هذه العوامل في ظهور تقنيات الكر والقذف النوميديين وينسب المؤرخين الفضل في اختراعها للقائد البربري يوغرطة¹⁵ ثانياً.
- عنه مع روما فبعد أن احتل ميلتوس باحة تقابل جيش يوغرطة مع الجيش الروماني

من سيوتا (قسنطينة حالياً) عاصمتها، وقد امتدت أراضيها من غرب تونس إلى شرق المغرب.

يرى ستيفان قرال أن تاريخ شمال إفريقيا محدد بظهور الحصان والحديد وهما العنصران اللذان أمتا التفوق لمن كان يملك هاتين الأدوات الحريتين القويتين وكانا السبب في قيام المسالك القديمة في شمال إفريقيا في نهاية الألف الثانية وبداية الألف الأولى قبل الميلاد¹⁰.

اشتهر النوميديون بالفروسية الخفيفة التي تعتمد على حفة التسليح وسرعة التحرك وهو ما فرضه عليهم طبيعة التضاريس وقساوة البيئة كما عرفوا بخيولهم القصيرة والسريعة التي كانت تتكيف تماماً للتقنيات العسكرية التي تنبؤها، فقد ذكر المؤرخ الفرنسي ستيفان قرال أن النوميديين استخدموا الحصان للصيد والحرب كما كانوا "يمتطون الخيول عارية دون سرج ولا جام ولا شكمسة ولا مهماز، وأنه كان يتم توجيه الحصان بواسطة عصا خفيفة أو أحياناً بمجرد الضغط بالركبة أو عند الحاجة بحركات سريعة من اليدين، وقد يضعون في رقبته فلاذة لا تستخدم فقط للزينة وإنما قد تستخدم لتعليق قميصه"¹¹.

وهناك إجماع بين المؤرخين الأجانب والعرب حول هذا الأمر فهي هو ملون الجزائر الكبير مبارك الملي يؤكد هذا الأمر فيقول "واشتهر في الفروسية ببرر نوميديا، ونحيلهم كانت قصيرة سريعة العدو، تصلح لاستطلاع أحوال العدو ورد الفارس من الجيش، يبس الفارس منهم لباساً خفيفاً ويحمل سلاحاً خفيفاً أيضاً، ويعتلي صهوة فرسه من غير سرج ولا جام، وإنما يمسك بيده قضيباً من خشب يصرف به الفرس طلع أذنيه، وهذا دلالة على خذلقهم في سياسة الخيل ومهارتهم في تربيتها"¹².

القروسية العربية : كز وفر

ارتبط تاريخ العرب بتاريخ أهل الحيلول وألقاها سلافة حتى أنه يمكن أن العرب شعب فرسان بامتياز، وقد كانوا مثل البربر يكونون الحيلول دون لحام لا ركاب هناك العديد من التقاطع بين العرب والبربر أمته حياة البدو التي اختنا الشعبان كأسلوب للعيش تكيفا مع الطبيعة والنخاع السائد في بلادها والنشابة المؤسسات الاجتماعية والنظام القبلي المسيطر، لذا نجد ابن خلدون ينتبه لهذا البند بين الاثنين دون بقية البشر فيقول في الفصل السابع والثلاثين من مقدمته الذ "عصبة ل" الحروب ومذاهب الأمم في تربيتها"

"وصفة الحروب الواقعة بين الخليقة منذ أول وجودهم على نوعين: نو الرزف صفوقا، ونوع بالكر والفر. أما الذي بالرزف فهو قتال المعجم كلهم علم بالكر أحفهم. أما الذي بالكر والفر فهو قتال العرب والبربر من أهل المغرب." 16

ولكن ابن خلدون لم يبين لنا السبب الكامن وراء تبني حرب الكر والفر من طرف العرب والبربر دون سائر الأمم ولم يشرح كيف تطورت هذه التقنية عندها دون غيرها.

والكر والفر تقنية حربية تعتمد على الهجوم المباغت والسرير عسلعدو في الظل لا ينظر منها هجوما بطريقة غير منظمة ومصحوبة بالصياح المرعب والمخيف ككبيده أكبر قدر من الخسائر ثم الإنسحاب السريع ومعاودة الهجوم في أماكن أخرى بنفس الطريقة حتى إتحاك العدو تماما¹⁷.

وهذا النظام الحربي المعتمد على سرعة التحرك حتمته طبيعة ميدان المعركة والمحموم حيث كان العرب والمسلمون يفتخرون به.

شمال تيسة سنة 108 م وبعد أن دارت الدائرة على يوغرطة وشعر بعجزه عن مقاومة الرومان بالقوة، استخدم دهاءه، وأخذ يتقهقر بالنظام نحو الصحراء، "وعلم البربر ضريا جديدا في القتال لئلا يمر عليه تهقيره انخراطا عاجلا: أوصاهم بعدم الكف عن إقلاق الرومان بالغارات دون انقطاع، وأن لا يصطفوا لهم يكونون جماعات متفرقة تكرر إذا رأت في العدو غرة وتقرر إن رأت الفر خيرا، ومن هذا الحين تعلم البربر حرب الكر والفر، وهذا الأسلوب الحربي الجديد لم يتمكن ليلتوس أن يتحدى في انتصاراته على يوغرطة، وجبر يوغرطة انخراطه باختراع حرب الكر والفر¹⁵."

والى عهد قريب استمرت التقاليد العسكرية المبنية على الكر والفر لدى سكان شمال إفريقيا لدرجة أن ملوك المغرب كانوا يستعينون بالفرنجية لتشكيل الحرس الملكي الخاص بهم لكون فرسانهم من البربر يدوكر ولا يشبون في الدفاع عنهم، وهو ما أشار ابن خلدون قائلا: "صار ملوك المغرب يتخذون طائفة من الإفرنج في جندهم، واختصوا بذلك لأن قتال أهل وطنهم كله بالكر والفر، والسلطان يتأكد في حله ضرب المصاف ليكون ردها للمقاتلة أمامه، فلا بد وأن يكون أهل ذلك الصف من قوم متعودين للقيات في الرزف، وإلا أحتلوا على طريقة أهل الكر والفر، فأكرم لسلطان والعساكر بإحفاتهم، فاحتاج الملوك بالمغرب أن يتخذوا جنداً من هذه الأمة المتعودة الثبات في الرزف وهم الإفرنج، ويرتبون مصافهم المحدث بهم منها، هذا على ما فيه من الاستعانة بأهل الكفر"

ويبدو أن ارتباط النوميديين بالكر والفر أملاه أسلوب الحياة البدوية التي طبعته شمال إفريقيا منذ فجر التاريخ إلى عهد قريب ولم تفلح الحضارات اللاحقة في

الطبيعة التي كانت لها.

والفر ظهرت كاستجابة طبيعية لأسلوب حياة العرب والبربر الذي كان يقر على الغارات والغارات المضادة.

من المؤكد أنه من رحم الكر والفر ولدت الفانطازيا كمحاكاة حربية لما يحدث على أرض المعركة من هجوم مباغت وانسحاب سريع، ومن المرجح أن يكون العرب قد مارسوا نوعا من الفانطازيا منذ أن طوروا تقنيات الحرب باستخدام الخيل لأالفانطازيا ما هي في الأخير إلا نوع من التدريب العسكري للفرسان على القتال، كما تسمح لهم بتطوير مهاراتهم القتالية والرفع من قدراتهم الحربية كما يسمح للقائد باكتشاف أفضل الفرسان وأهم المحاربين وبالتالي التقييم الصحيح لقوة جيوشهم وسامريتهم.

وربما كانت الحاجة في أوقات السلم إلى التدريب على القتال أمرا ضروريا للحفاظ على الجاهزية القتالية ورفع القدرات الحربية للفرسان القبيلة، كما كان وسيبقى دوما لاكتشاف المزايا وتمييزها وطريقة تطوير التقنيات القتالية والحربية ومن هذا المنطلق ولدت الفانطازيا في شكلها الأولي.

وربما كانت الحاجة لتخليد المآثر الحربية والاحتفال بالانتصارات العسكرية دفعا لإقامة استعراضات فنية يستعرض فيها الفرسان مواهبهم ومهاراتهم ويظهرون بأسهم وقوتهم ويتباهون بمقتنهم وسرعتهم في عمليات كره و فر لا تكاد تنتهي لتطور هذه الاستعراضات فيما بعد إلى شكل من أشكال الفانطازيا

وربما كان السبب في ظهور الفانطازيا هو الحاجة للترفيه في أوقات الفراغ وأثناء المناسبات الاجتماعية كاحتفالات الزواج والعقيقة والختان ولما كانت وسائل الترفيه في

صحراوية لا تتوفر على أماكن للاحتساء ويهاجمون عدة أعداءهم المستوطنين الذين تعوزهم سرعة الحركة ويعتمدون أكثر على الدفاع والاحتساء.

ويبدو أن هناك عدة عوامل تحالفت بطريقة ما لتكون محصلتها ظهور طريقة الكر والفر لدى العرب والبربر في نفس الوقت وهي عوامل موضوعية أملت لها الإيكولوجيا المحلية ويمكن تحديدها فيما يلي:

1- الحصان: كان الحصان الذي يركبه العرب والبربر صغيرا وسريعا ومرنا، يتحمل العدو والتعب ويروضى بالقليل من الغذاء، وفيما لصاحبه ومطبعها لقارسه.

2- الفارس: بسبب أسلوب عيش البداوة كان الفارس العربي كما البربري نجحها خفيفا متزنا، يقضي أغلب وقته على ظهر حصانه، يحسن المناورات وينتج بمهارات ركوب عالية.

3- طبيعة الأرض التي كان الشعبان يعيشان عليها فهي أرض صحراوية أو شبه صحراوية تخلو من المدن الكبيرة والحصون المنيعة التي تسمح بالتمرس خلفها وإنشاء الدفاعات الثابتة والقوية لذا كان على المحاربين أن يواجهوا عدوهم وجها لوجه مهما كان عدده ومهما كانت عدته.

4- العلاقة بين الفارس والفرس : بفضل لتوازن والتفاهم بين الفارس النحيل الخفيف والحصان الصغير السريع أصبح من الممكن شن هجوم سريع وحاطف وإثخان العدو بأكثر قدر من الحسائر يتلوه انسحاب سريع وذلك لتجنب انتقامه المباشر وهكذا ذوايك ومن هنا يتضح جليا أن تقنية الكر

لجهداتهم لما رغبوا فيه من الصبر، ولما رسخ فيهم من الإيمان، والزحف إلى الاستماتة أقرب.

وهنا نجد الإشارة إلى أن الفروسية عند العرب لم تكن تقتصر على الحرب ب

أعدت ذلك لتصبح نظاما اجتماعيا متكاملا يكامل فيه العلم والأدب والشعر والركوب والحرب والطعان ويعلم فيه شأن القيم الإنسانية من شجاعة ونجدة ورحوا

والفروسية العربية شروطها، فلم يكن المرء ليصير فارسا إلا إذا تحلّى بمجده الخصال العشر : « الصلاح، والكرامة، ورقة الشئال، والقريحة الشعرية، والقصاحة، والقوة، والمهارة في ركوب الخيل، والقدرة على استعمال السيف، والرمح، والنسب²⁰ ».

المفروسية التركبة : جريد وبارود

حين جاء الأتراك إلى شمال إفريقيا في القرن السادس عشر أحضروا معهم لعبة لهبه الفانطازيا إلى حد كبير بحيث يمكن اعتبارها شكلا من أشكال الفانطازيا البدائية، ويطلق عليها اسم "لعبة الجريد" و "لعبة القصب" و "لعبة الميدان"²¹.

وقد ورد مصطلح الجريد في القواميس والمعاجم الفرنسية للدلالة على "لعبة مهنية يتم فيها رمي رمح خشبي من على ظهر الحصان"²²، ويبدو أن اللعبة قد استمدت اسمها من "جريد النخل" أي أغصانه التي كانت تصنع منها الزمراح أو العصي الطويلة التي كانت تستخدم في هذه اللعبة.

ويشير جون فليسيسم أدري (Jean-Félicissime Adry) في قاموسه حول ألعاب الطفولة والشباب عند كل الشعوب " إلى الجريد باعتباره لعبة وقرينا في نفس الوقت، يستخدم لتدريب الشبان على الفروسية ويستخدم في الوقت ذاته لتدريب

البوادي والصحاري غير متوفرة كانت ممارسة ألعاب الخيل هي الوسيلة الوحيدة التي تنحأ إليها القليلة للترفيه عن أفرادها.

ومن المعروف أن العرب مارسوا منذ القدم العديد من الألعاب التي تلعب فيها الخيل دورا محوريا وتتطلب مهارة عالية في التحكم فيها ومن هذه الألعاب لعبة تشبه البولو يحمل فيها الفرسان عصيا طويلة يضربون كرات وهذه اللعبة انتقلت إلى أوروبا تحت اسم "البولو"، وهناك الرماية بالقوس من على ظهر الحصان وتسمى "القباقي" وفيها يقوم الفرسان من على ظهور أحصنتهم بسرعة بالتصويب على كرة بداخلها حمامة والهدف هو ثقب الكرة وتخريب الحمامة دون إصابتها بجروح وهو أمر يتطلب تدريباً طويلاً وشاقاً وبين المهارة الفائقة التي وصل إليها الفرسان العرب في تقنيات الرماية خلال العصور الوسطى¹⁸.

ورغم التغيير الكبير الذي أدخله الإسلام على العرب عبر دعوته المسمين إلى القتال في سبيل الله صفا مرصوصا وذلك في مواجهة الأسم المتطورة عسكريا بمثل ذلك العصر كالروم والفرس إلا أسلوب الكر والفر بقي الأسلوب الغالب على عرب شبه الجزيرة العربية تماما مثل البربر تماما كما أشرنا إليه سابقا وهو ما يبين أن هذا الأسلوب غير الرسمي للحرب بقي الأسلوب الأفضل الذي تتبناه القبائل لأنه يلي حاجاتها في الدفاع عن نفسها والدود عن حياضها.

يقول ابن خلدون: "وكان الحرب أول الإسلام كله زحفاً، وكان العرب إذا يعرفون الكر والفر، لكن حملهم على ذلك أول الإسلام أمران: أحدهما أن عدوهم كانوا يقاتلون زحفاً فيضطرون إلى مقاتلتهم بمثل قتلهم، الثاني: أنهم كانوا مستعدين

ومن الكتابات الفرنسية لجد أن الفرنسيين هم من أدخل تقنيات الفانطاز بالصفوف أو ما يطلق عليه اسم العلفة وتخلوا عن الفانطازيا الفردية التي ينطلق فيها الفارس لوحده وقد شكلت العلفة إضافة ممتازة للفانطازيا من خلال فنيات التماس بين الفرسان في الجري وإطلاق البارود.

ومنذ القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا لم يحدث تطور جوهري لفانطازيا علمي والمالبس المارساتي والتغييرات التي تم إدخالها هي تغييرات ذات طابع تقني فقط لا غير لأنها مستحجات معينة مثل نقص عدد الممارسين وقلة الأحصنة والقيود المفروضة على الأسلحة وغيرها من الأمور التي جعلت من ممارس الفانطازيا يتكيف مع الضرورات الحياتية ولا يتخطى عنها رغم الصعوبات ولا يفرض في ممارستها.

علاصة

وهكذا اتضح لنا جليا أن الفانطازيا كانت بالفعل نتاج تاريخ طويل من العائلات الحضارية وثقافية والجمالية والفنية بين الإنسان من جهة والحصان من جهة ثانية و الطبيعة الخاضعة لهما من جهة ثالثة، وأنها تطورت بفضل مساهمات الدولة لتيارات فروسية كبرى كانت تمثل في عصرها أحد أفضل طرق التكيف الإنساني مع التحديات الأمنية والحربية والوجودية، كما شكل التنوع البشري والجغرافي والمناخ من العرب والنوميين جنوبا إلى الترك والفرنسيين شمالا رافدا أساسا للروح الكبير في الطقوس و الممارسات والأشكال والألوان التي تميز الفانطازيا وتمنحها خصوصياتها الحضارية والجمالية والفنية وتجعل منها ممارسة تستعصي على الزوال والاندثار وتحتل مكانة بارزة في الفضاء الاجتماعي والثقافي والطقوسي ولشعوب

خيولهم على الحرب، وهو لعبة منتشرة جدا عند الأتراك وأمور (السكان المحليين لشمال إفريقيا) وعندهم الإسيان²³.

وإلى الأتراك أيضا يعود الفضل في إدخال بنادق البارود التي حلت مكان رماح الجريد مما أعطى للفانطازيا روحا جديدة وطعما فريدا لما حمله لبارود من إضافات بصرية وسمعية وشمية ساهمت في زيادة متعتها وانتشار شهرتها حتى أطلق عليها اسم "لعب البارود" للدور المركزي الذي أصبح يلعبه في هذه اللعبة.

الفرنسيون: علفة فرسان

أدرك الفرنسيون غداة احتلالهم لجزائر الأهمية الكبيرة للفانطازيا فقاموا بإنشاء فرق من القوم (عساكر من السكان المحليين) مخصصة للفانطازيا وقد خصص فلوريون فرعون (Florian Pharaon) فصلا كاملا للحديث عن هذه الفرق تحت عنوان "قوم الفانطازيا" في كتابه "صباحي، التيركوس والقوم" الصادر سنة 1864²⁴، وذكر أنها كانت تحت إدارة "المكتب العربية" وتتكون من أشهر الفرسان الذين يرتدون حارب من الحرير وبرانس نظيفة ويتكون أجمل الخيول لدى القبائل، التي تسرح بأفضل السروج المطرزة والغطاءات المذهبة، وتدريب هذه الفرق في ميادين محاصه ثم إنشالها عند أبواب المدن ويتم استدعاؤها في احتفالات العرش أو لإحياء انتصارات كبرى أو لتحية القائد العام أو السواح من ذوي الشأن²⁵.

ولعل أكبر فانطازيا في التاريخ هي تلك التي نظمت على شرف ملك فرنسا نابليون الثالث أثناء زيارته للجزائر سنة 1860 فقد ذكرت التقارير الصحفية أن تعداد الفرسان الذين شاركوا فيها وصل ما بين 9 آلاف إلى 10 آلاف فارس²⁶.

الهوامش:

- Cellard, Jacques, *Les racines grecques du vocabulaire français*, De Boeck Université, 2004, p. 63.
- Berbrugger, Louis Adrian. *Voyage au camp d'elamir Abdelkader*, Toulon imp, 1839, p. 47.
- 1- Arviller, Raymond. *Notes d'étymologie et de lexique*, Revue de la langue romane, jan-juin 1985, p. 123-128.
- 4- Bescherelle, Louis-Nicolas. *Dictionnaire National Ou Grand Dictionnaire Classique De La Langue Française*, Paris, 1845, tome I, p. 1231.
- 5- Lachâtre, Maurice, *Dictionnaire universel*, Paris, 1845, tome I, p. 1848.
- 6 - Emile Maximilien Paul Littré, *Dictionnaire de la langue française*, Paris, 1863, p. 1616.
- 7- Larousse, Pierre, *Grand Dictionnaire Universel du XIX^e siècle*, Paris, XIX, 1872, pp. 92-93.
- 8- Sedrati, Azzeddine, Roger Tavernier, Bernard Wallon *L'art de la fantasia: cavaliers et chevaux du Maroc*, Plume France, 1997, p. 41.
- 9- Pereira, Carlos. *Parler aux chevaux autrement*, Amphion France, 2009, p. 16.

الشمال الافريقي، وتشكل تراصا وطنيا محبوبا ومرغوبا لما يحمله من قيم تربط ارتباطا وثيقا بالدين والجهاد والتاريخ والكفاح ومقاومة المحتلين.

- voir aussi : Académie française. *Supplément au Dictionnaire de l'Académie*, Volume 3, Ed. Masson et fils, Paris, 1827, p. 258.
- 4- Adry, Jean-Félicissime. *Dictionnaire des jeux de l'enfance et de la jeunesse chez tous les peuples*. H. Barbou, Paris, 1807, p. 132.
- 5- Florian Pharaon. *Spahis, turcos et goudiers*, Ed. Challamel Aîné, 1864, pp. 245-255.
- 6- Idem, p. 247.
- 7- Edouard Dulaunier. *Revue de l'Orient et de l'Algérie et de colonies*, bulletin et actes de la Société orientale, t. 12, Paris, Société orientale, 1860, pp. 297-298.
- 8- Arveiller, Raymond. *Notes d'étymologie et de lexique*, Revue de la langue romane, jan-juin 1985, p. 123-128

- 11- Gell, Stéphane. *Histoire ancienne de l'Afrique du Nord*, Tome 5, librairie Hachette, Paris, 1927, p. 80.
- 12- Gsell, Stéphane. Idem, pp. 185-186
- 13- مبارك الملي. تاريخ الجزائر لقدم والحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ج 1، ص. 114.
- 14- Gsell, Stéphane. Op. cit. p. 182.
- 15- مبارك الملي. مرجع سابق، ص. 141.
- 16- المرجع نفسه، ص. 195.
- 17- بن خلدون. المقدمة، تحقيق عبد السلام الشاذلي، بيت الفنون و العلوم و الآداب، الدار البيضاء، 2005، ص. 56.
- 18- Azzedine Sedrati, op. cit, p. 42.
- 19- Idem, p. 46.
- 20- الفروسية، لشمس الدين أبي عبد الله، تحقيق : أبي عبيدة مشهور، دار الأندلس، ط 2، 1996 م، ص 158
- 21- غوستاف لوبون. حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1983، ص. 292.
- 22- Louis Chénier. *Révolutions de l'empire ottoman, et observations sur ses progrès, sur ses reveers*, Chenier et bailier, Paris, 1787, p. 319.
- 23- François Raymond. *Dictionnaire des termes appropriés aux arts et aux sciences*, Masson et fils, Paris, 1824, p. 258.